مقدمة

المرأة هى مناط الأخلاق فى المجتمع، فإذا أردنا أن نعرف نوع الأخلاق فى أى مجتمع فلا بد من معرفة أخلاق المرأة فيه؛ فهى المعيار، والميزان.

ما أروعها المرأة متحفظة غير مبتذلة فى مظهرها، وآرائها، تمارس حقوقها، وواجباتها بتلقائية شديدة بلا ضجة، ولا تشنج، ولا انتصار لجنس على الآخر، فإن لم يكن الرجل زوجاً، فهو الأخ، وإن لم يكن هذا، ولا ذاك فهو الأب الذى كان سبباً فى حياتها، ثم دفع بها إلى الحياة لكى يثرى بها الحياة، وليست سلاحاً لمحاربة أحد، فليس هناك امرأة بلا أب، وإن كانت المرأة الأولى(حواء) لم تعرف سوى أبيها(آدم)، ولم يكن لها أم لتكون هى أم البشر..

وما المرأة فى حياة البشرية سوى بويضة يبحث عنها أحد الحيوانات المنوية ضمن الملايين التى تضرب فى تيه الرحم المظلم حتى يهتدى إليها، ويقتحمها، ثم.. ثم.. تبدأ الحياة..

المرأة.. هى الرحم الذى حوى عنصرى البشرية، وحفظ الجنس البشرى من الفناء كل هذه السنين، ويريد بعضهن التنازل عن هذا الشرف ليعشن لأنفسهن فقط، ولكن هل ستخسر البشرية كثيراً سوى أفراد يدخلن دائرة النسيان طواعية؛ ودونما عذر؟!..

فى الآيات القرآنية ذات الصلة بالمعاملات التى أساء المسلمون استخدامها، واستهانوا بها، وساعدهم على ذلك بعض المصنفين للفقه الإسلامى، فانسحب هذا على المرأة، ومعاملتها معاملة دونية بما يقربهم للجاهلية منها إلى الإسلام؛ فما بال المتنطعين يؤولون نصوص الكتاب بعنديات جاهلية، أو ضحلة تلوى أعناق الحقائق كلما ظنوا أنهم يفسرون:

-«وللرجال عليهن درجة» البقرة(٢٢٨).. أو:

obeikandi.com

-«الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم» النساء(٣٤)..

فجالوا، وصالوا وأدخلوا النفقة فى التفضيل، فليست المسألة مسألة عصبية، أو نفقة، أو من يملك من، أو من يحكم من، ولكن المسألة قوامة، ورياسة، وكياسة، وانضباط؛ ففى شأن كالجهاد مثلا، وحمل السلاح لا يصح أن تتقدم المرأة، والرجل ينظر، فالإسلام ينصب الحاكم لو كان عبداً حبشياً، كما أمر باتباع الإمام حتى لو لم تنطبق عليه صفات الإمامة، أو كان فى المأمومين من هو أحق منه درءا للفتنة، وافتراق الكلمة..

وأما عن الدرجات فيقول تعالى:

-«فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة» النساء(٩٥)..

والتفضيل يأتى هنا من الجهاد الذى هو حركة، وانبعاث، وانشغال بالصد عن الدين، والحُرمات؛ فهل يتساوى هذا مع من قعد فى بيته ليرعى دنياه؟.. ولا يصد عنها مثل ذلك الذى خرج بماله، ونفسه، فالدرجة التى امتاز بها الرجل على المرأة هى درجة الحركة، والانبعاث لأن الحضن، والسكن لا يفترض فيه الحركة، والانبعاث، ومن هنا جاءت الدرجة، وليست تعصبية جوفاء، فلا فضل، ولا كرامة إلا بالتقوى، والعمل، فالله تعالى رب المرأة، والرجل؛ وهو الذى خلقهما، وحدد مسارهما:

-«الذى خلق فسوى(٢) والذى قدر فهدى(٣)» الأعلى..

فكل مخلوق ميسر لما خلق له، وهو الذى يضع لهما القانون، والمنهاج الذى يسير عليه كل منهما؛ لأن كل منهما مكلف لغايته:

-«وما خلق الذكر والأنثى(٣) إن سعيكم لشتى(٤)» الليل..

وليس من المنطق اعتساف تفاسير، وأفكار تخدم أغراض، وبيئات معينة، لأن التفضيل فى السعى فقط، والحركة، فمن النساء من تنفق كالرجل، ومن الرجال من هو أقل شأنا من المرأة، ومن هنا نلمح حكما يحتم على المرأة الاختيار، والتدقيق عند الارتباط مع الرجل لتكوين الأسرة، بأن يكون الرجل هو القيِّم، والمتقدم عنها بما له من بسطة فى العلم، والجسم، فتتجنب بعد ذلك تعرضها لما تكره، فعند الاقتران بها مثلا يدفع لها مهرا، وصداقا، أما لو أخذت المرأة مسار الرجل فى أى شىء، فهى وشأنها، ولا ينبغى لأحد الحجر عليها..

إن استهداف المرأة للرجل من أجل تحررها - على حد قولها - إنما هو فى حد ذاته حيلة من حيل الرجل ضد المرأة كى تتشتت جهودها نحو لا شىء، وهذا اللا شىء هو الذى جعل المرأة فى بلادنا على

openkandil.com

حالها إلى الآن؛ فالمرأة فى بلادنا لم تجن شيئا من هذا التحرر، وما زالت الدولة، والقضاء، والتشريع كله ضد المرأة، ومع الرجل قلبا، وقالبا، وإلا كيف أصبحت المرأة الآن تسعى إلى كل دروب الحياة؛ وهذا ليس جديدا عليها بالمرة، ولكنها إذا التقت برجل فى علاقة سواء كانت شرعية، أو غير شرعية تكون هى الخاسر الوحيد عند انتهاء هذه العلاقة بالطلاق، أو الفراق.

لقد حددت الشريعة العلاقة بين الرجل، والمرأة؛ وهى تقوم غالبا على المودة فى العشرة، وعلى المعروف وقت الفراق، والمودة، والمعروف يقومان على قاعدة دينية مهمة هى التقوى، والخوف من الله، وعندما ضاعت التقوى ضاعت المرأة، فما هى الأصول الشرعية لبيت الطاعة مثلا فى القرآن، والسنة؟..

يجب ألا تخضع محاكم الأسرة للقضاء، ولا للشرطة؛ بل تخضع كلية لوزارة الشئون الاجتماعية على أن يكون قوام هذه المحاكم الأطباء النفسيين، وعلماء الاجتماع، ورجال الدين ذوى الدراية، والإلمام بأحكام القرآن، والسنة بشأن الاجتماع، والعلاقات الشخصية فيما بين الرجل، والمرأة من علاقات، وارتباطات؛ بحيث تلزم كل من يطلق زوجته مثلا بعد بذل كل ما أمر به القرآن من جهد فى سبيل الإصلاح بالنفقة الملزمة له، وحتى تتزوج مرة أخرى سواء كان الرجل يتبع الحكومة، أو القطاع العام، أو القطاع الخاص..

فى مقدمة كتاب د.خالد منتصر «الختان والعنف ضد المرأة» تقول سناء البيسى:

-«إن المرأة يجب أن تكون الناطقة بلسان نفسها، ويجب أن يتحول خطاب الانتصار لقضيتها إلى خطاب نسائى محض؛ بعد أن كان شبه موقوف على الرجال حتى الأمس القريب»..

وهى تتهم التمرير الرجولى للمرأة بأنه تحكمه مصالح باطنة، ومقاصد لا شعورية، وسوف يدركه اللهاث، وقصر النفس عند تصديه لقانون الأحوال الشخصية، والحقوق المدنية، وهى تناقش الموروث الثقافى عن المرأة التى أخرجت آدم من الجنة، مع أن القرآن قد نفى هذه الفرية عن حواء، ونسبها لآدم أيضا، فهو الأولى بالقوامة، والمسئولية بقوله:

-«فأزلهما الشيطان» البقرة(٣٦)..

هل كانت الشجرة المنهى عنها فى القرآن هى شجرة أرضية تنبت طعام من يعيشون على الأرض، وتنشأ منها بقايا فى جسد الإنسان تحتاج إلى التصريف، والإخراج؟.. ومن ثم النزوع إلى الجنس الآخر؟.. وهل كان الشيطان هو الذى يعرف سرها؟.. إذ إنه حاول جاهدا أن يغريهما بالأكل منها

على أمل أن يكونا من جنس الملائكة الخالدين..

وهل كان للإنسان طموح إلى جنس الملائكة الخالدين علاوة على سكنه المميز فى الجنة؟.. كما أخبرنا القرآن حين غرهما الشيطان بهاتين الحجتين لإقناعهما بالأكل منها:

-«ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين» الأعراف(٢٠)..

وقد مثلت الأساطير المعتمدة على التوراة الشيطان بثعبان يلتف حول الشجرة المحرمة ذاتها، وهو يدعوهما إلى الأكل حتى نسيا النهى الإلهى الذى أكد على:

-«لا تقربا» الأعراف(١٩).. ولم يقل «لا تأكلا»، حتى لا ينشأ لديهما النزوع، وهو يشبه التعبير عند تحريم الزنا حين قال:

-«لا تقربوا الزنا» الإسراء(٣٢).. ولم يقل «لا تزنوا»..

معلوم أن الجنة مُطَهر كل ما فيها؛ فالماء غير آسن، واللبن لا يتغير طعمه، والعسل مصفى، والخمر لذة، وغير مسكر، يعنى لا مكان بالجنة لإخراج هذه البقايا، والفضلات التى تحتاج إلى هدم، وتحلل للتخلص منها كما يحدث فوق الأرض، فوجود هذه الهادمات، والمحللات سوف تجعل ماء الجنة آسنا، وتغير طعم اللبن عندما يميل إلى الحموضة، ويمتلأ العسل بالشوائب، ويتكون الكحول فيصير الخمر مرا كخمر الدنيا، أم طمعا فى نعيم الجنة، والخلود فيها؟.. يقول تعالى:

-«ياآدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما» البقرة(٣٥)..

هل طبيعة الملائكة وخلودهم، والبشر وفنائهم كانتا مما علمه الله تعالى لآدم قبل أن يجعل الجنة له سكنا؟.. فطمع هو وزوجته فى الخلود بالتحول إلى جنس الملائكة الخالدين:

-«وعلم آدم الأسماء كلها» البقرة(٣١)..

إذا فقد تعلم معنى الخلود، وطمح إليه بالتأكيد بما رُكب فيه من غريزة حب البقاء، وعلمه هو بدوره لحواء مما علمه ربه، فلم يكن لهما شغل فى الجنة سوى الحديث تحت أوراقها الوارفة، وظلها الممدود، ولكن الأمر اختلف بعد أن أكلا من الشجرة:

-«بدت لهما سوءاتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة» الأعراف(٢٢)..

فقد بدأ النزوع، بعد أن بدا لهما فجأة ما ورى عنهما من سوءاتهما، فلم يدركا من قبل ما هذه السوأة، وكيف تعمل، فهم قد عَلِماه مما عَلَّمه الله لآدم، ولكنهما لم يُجربا استخدامه الذى تفاجآ به؛ فهُرِعا إلى ورق الجنة يستتران به، ولم يُحَرم الله ممارسة الجنس فى الجنة سواء مع نساء

البشر، أو نساء خلقهن الله فى غاية الطهر، والنقاء كطهر الجنة لهذا الغرض، المتعة الخالصة من الأمراض، والجراثيم، والروائح الكريهة؛ عدا انهيار الجسم عند الإفراط فى الممارسة التى قد تنقطع أيام الطمث، وما بعد الولادة التى تحتاج إلى دم، وسوائل يحتاط بها الرحم من أجل الحفاظ على الجنين، ومشيمة، وحبل سرى يصل الجنين بأمه التى تعتبر مخزنه الغذائى، والمعاشى؛ فلا نسل فى الجنة، فالنسل منوط بالحياة الدنيا:

-«أفرأيتم ماتمنون(٥٨) أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون(٥٩) نحن قدرنا بينكم الموت ومانحن بمسبوقين(٦٠)» الواقعة..

إذا فالموت هو نهاية النسل، ولا موت فى الجنة، فهى الأرض إذا التى جُعلت للموت، أما الخلود فيختلف مفهومه على الأرض، إنها العلاقة الجنسية التى ينتج عنها فرد ثالث يُخلد أبواه، وهو ما يتضح من الآيات فى العلاقة بين الموت الذى قدره الله على أهل الأرض، والمَنى الذى خلقه الله من أجل بقاء الإنسان وخلوده على الأرض، ففى الأرض سيبحث ابن آدم عن بنت حواء التى خُلقت منه، ثم يبحث حيوانه المنوى جاهدا عن بويضته فى ظلام الرحم..

كانت الجنة لأبى البشر مرحلة انتقالية، وكانت الشجرة التى ابتلى بها فى هذا المكان الطاهر من العناصر الأرضية التى خلق هو منها؛ فعناصر الطيب تأتى بالطيب، والعناصر الأرضية عندما تتفاعل تأتى منها الدنيا التى خُلق من أجلها، ولذا كان ميله للشجرة أقوى كثيرا من غواية الشيطان، ولكى يستطيع العيش عليها فلا بد له من علم:

-«وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة» البقرة(٣١)..

وبرز العلم الملائكى فى مواجهة العلم الآدمى فقال الملائكة:

-«سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا» البقرة(٣٢)..

ويُفهم من ذلك أن الله تعالى اختص كل خلق بالعلم العملى الذى ينفعه فى مجاله؛ بحيث لا يكون بالضرورة قد تعلم إلا ما يعينه على حياته، وما خُلق له، وبذلك لا يكون أحدهما جاهلا لأن علم الآخر لا يعنيه، ولا ينفعه فى شىء..

وهل كان علم آدم ليس كعلم الملائكة؟..

فقد علم الله سبحانه وتعالى آدم الأسماء كلها؛ التى هى أصل العلوم الأرضية..

وكان للملائكة علم علمه الله إياهم ليس كعلم البشر، يرفع عنهم صفة الجهالة، وإلا لما قالوا:

-«أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء» البقرة(٣٠).. ثم قالوا:

-«سبحانك لا علم لنا إلا ماعلمتنا» البقرة(٣٢)..

فجعل الله علما للملائكة غير ذلك الذى جعله لآدم أبو البشر، خاصة أن الله تعالى فى سورة البقرة التى ذكرت هذا الحوار الذى نستشف منه أنه لم يكن استشارة بقدر ماكان تمهيدا، وتهيئة، وإقناعا للسجود، والتبجيل لخلق الله، وليس للمخلوق فى حد ذاته – كما فهم إبليس - وكنوع من العبادة، والشكر على العلم الذى علمهم الله إياهم فقال تعالى:

-«إنى جاعل فى الأرض خليفة» البقرة(٣٠).. ثم تردف الآيات:

-«وعلم آدم الأسماء كلها» البقرة(٣١)..

والواو تعطف حدثين وهو الجعل فى الأرض، والعلم، وقد اقترنت الأرض بالعلم الذى لم يكن علما غيبيا؛ بل علما تجريبيا تطبيقيا، بينما كان علم الملائكة علما غيبيا يليق بتكوينهم، ومكانهم فى ملكوت الله، أما علم الغيب فلم يختص به أحدا من عباده إلا من ارتضى:

-«من رسول» الجن(٢٧)..

أمثال عن المرأة:

فى الأهرام الصادر بتاريخ ١٩ من أكتوبر ٢٠٠١ جمعت عايدة رزق بعض الأمثال التى قيلت على المرأة فى مختلف بلاد العالم:

من الصين:

-«البيت الذى تزاول فيه الدجاجة عمل الديك يصبح خرابا»..

-«المرأة النبيلة لا تشرب شاى أسرتين»..

-«المرأة الغبية المسرفة تحرق شمعة لتفتش عن عود كبريت»..

من اليابان:

-«اضرب زوجتك ليلة زفافها تصبح حياتك الزوجية سعيدة»(مثل ذبح القطة المصرى)..

-«المرأة ككوب الزجاج تعيش دائما فى خطر»(حديث الرسول رفقا بالقوارير)..

مثل هندى:

openkandil.com

-«امرأة بلا زوج هى حقل بلا مطر»..

مثل إنجليزى:

-«إذا أردت أن تعرف سن المرأة فاسأل سلفتها»..

-«للمرأة الخفيفة زوج ذو وزن»..

مثل أيرلندى:

-«جدير بك أن تمنح زوجتك حبك، ولكن لا تأتمن على سرك إلا أمك، أو شقيقتك»..

مثل يونانى:

-«الشيطان نفسه لا يعرف أين تشحذ النساء سكاكينهن»..

مثل سويسرى:

-«إذا أردت أن تحبك المرأة فابدأ ببذل المال، والكرامة»..

أمثال روسية:

-«المرأة مصنع للأكاذيب»..

-«الذى يهين زوجته لا يحترم نفسه»..

-«صفعة الزوج لا تترك أثرا»..

أمثال فرنسية:

-«خلقت المرأة لتفتش جيوب الرجل»..

-«العش يتوقف على العصفور، والمنزل يتوقف على المرأة»..

-«العنزة قفزت فوق شجرة العنب، وكذلك ستفعل ابنتها»(اكفى القدرة)..

مثل إسبانى:

-«يمكن أن ينسى العندليب الغناء، ولا تنسى المرأة الكلام»..

مثل بولندى:

-«ابتلع الشيطان امرأة فلم يستطع أن يهضمها»..

مثل ألبانى:

-«مع أمك لا تتجاوزى الشاطئ، ومع زوجك اعبرى المحيط»..

مثل بولونى:

obeikandi.com

-«المرأة تبكى قبل الزواج، والرجل بعده»..

مثل تركى:

-«المجنون يشيد بزوجته، والعاقل يتحدث عن كلبته»..

مثل ألمانى:

-«الشيطان تكفيه عشر ساعات ليخدع رجلا، والمرأة تكفيها ساعة واحدة لتخدع عشرة شياطين»(لا فرق فى الأمثال بين الشرق، والغرب)..

opeikandl.com